

Journal of Religion & Society (JR&S)

Available Online:

<https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index>

Print ISSN: 3006-1296 Online ISSN: 3006-130X

Platform & Workflow by: [Open Journal Systems](#)<https://doi.org/10.5281/zenodo.17038328>**Proofs for the Existence of God in the Thought of Mustafa Sabri and Tahir ibn Ashur: An Analytical and Comparative Study**

أدلة وجود الله تعالى بين مصطفى صبري وابن عاشور

(دراسة تحليلية مقارنة)

Mushrraf Baig Ashraf

Ph.D, International Islamic University, Islamabad

m.mushrraf@gmail.com**Dr. Abdul Wahhab Jan**

Associate Professor, International Islamic University, Islamabad,

ashraf.abdu@iiu.edu.pk**Abstract**

One of the most pressing issues in the intellectual arena today concerns humanity's need for religion in general, and Islam in particular. The nineteenth century witnessed a denial of this need, and it became prevalent in the West—and in some scientific circles in the East following the West—that humanity had reached a stage where it no longer needed religion. Religion's most fundamental component is the conception of a transcendent being that believers hold sacred. Therefore, we find theologians and scholars of creed paying attention to rational proofs for God's existence, while those who opposed the need for religion criticized the very conception and existence of God. The pace of denying God has increased over the past century or two. Hence, the need to demonstrate God's existence remains a perpetual, eternal necessity. We have chosen two prominent Muslim theologians to study their methods of proving God's existence and to compare between them: Mustafa Sabri (d. 1373 AH / 1954 CE) and Ibn Ashur (d. 1393 AH / 1973 CE). These two were born in the nineteenth century and lived in relatively close periods when the Islamic nation faced existential challenges and suffered calamities, and both were among those who remained vigilant for the Islamic community. Sheikh Mustafa Sabri specifically critiqued modern Western philosophers and evaluated their criticisms directed at theologians' methods of proving God's existence. It is therefore scientifically necessary to bring these two together, highlighting each one's approach to this aspect of theology—namely, proving God's existence. For this reason, I have chosen this comparative study between them.

Keywords: *Ilm-e-Kalam, Islamic Theology, Proof for Existence of God, Ibn Ashur, Tafsir al-Tahrir wa'l-Tanwir.*

الملخص:

إن من أشد القضايا العلمية إلحاحاً في ساحة الفكر ما يتعلق بحاجة الإنسان اليوم إلى الدين عامة وإلى دين الإسلام خاصة. فقد رأى القرن التاسع عشر إنكار تلك الحاجة وساد في الغرب وفي بعض الأوساط العلمية في الشرق تبعاً للغرب أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة استغنى فيها عن الدين. ثم الدين أهم ما يقوم به هو تصور كائن متعال يقدره من يدينه. لذلك نجد علماء الكلام والعقيدة

يعتنون بأدلة وجود الإله من الناحية العقلية، ونلفي كذلك من ناوأ الحاجة إلى الدين منتقدا لتصور الإله¹ ووجوده. وازدادت منذ قرن أو قرنين وتيرة إنكار الإله. من هنا كانت الحاجة إلى البرهنة على وجود الإله حاجة دائمة سرمدية. فاخترنا علمين من أعلام علماء الكلام المسلمين لدراسة طرق إثبات وجود الله تعالى لديهما وعقد المقارنة بينهما، وهما الشيخ مصطفى صبري (المتوفى: 1373هـ / 1954م) والعلامة ابن عاشور (المتوفى: 1393هـ / 1973م) اللذان ولدا في القرن التاسع عشر ووجدنا أنفسهما في عصر متقارب، قد كانت الأمة الإسلامية تواجه فيه تحديا وجوديا، وتبتلى بكوارث، وكانا ممن يسهر للأمة الإسلامية. وقد خص الشيخ مصطفى صبري فلاسفة الغرب المحدثين بالنقد وتقويم ما وجهوا إلى طرق إثبات وجود الإله لدى علماء الكلام من النقد. فمن ضرورتنا العلمية أن يعقد القرآن بينهما، ويبرز مناحي تناول كل منهما لهذا الجانب من علم الكلام وهو إثبات وجود الإله. فاخترت هذا الموضوع المقارن بينهما.

الكلمات الدلالية: علم الكلام، أدلة وجود الله، التحرير والتنوير، ابن عاشور، مصطفى صبري

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله. أما بعد:

الحاجة إلى الموضوع:

فإن من أشد القضايا العلمية إلحاحا في ساحة الفكر ما يتعلق بحاجة الإنسان اليوم إلى الدين عامة وإلى دين الإسلام خاصة. فقد رأى القرن التاسع عشر إنكار تلك الحاجة وساد في الغرب وفي بعض الأوساط العلمية في الشرق تبعا للغرب أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة استغنى فيها عن الدين، وقد كان زمان، كان للدين فيها دوره الذي يؤديه، ولكن كانت البشرية آنذاك في نعومة أظفارها. أما الآن وقد نضجت فلا حاجة بها إلى الأديان التي لم تكن سوى خرافة. قد تجلّى هذه الفكرة بصورتها العلمية الفلسفية في عمل الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت"² الذي يعد أبا عذرة الفلسفة الوضعية حيث صاغ للتقدم المجتمعي البشري عبر التاريخ قانونا، قرر من خلاله أن البشرية مرت بثلاث مراحل: مرحلة الأديان ومرحلة ما بعد الطبيعة ومرحلة الوضعية.³ لاشك أن فكر هذا الفيلسوف قد انتقد ولكن ما كان مبنيا عليه هذا النظر من فكرة الاستغناء عن الدين لا يزال حيا.

¹ نذكر على سبيل المثال الفيلسوف البريطاني برتراند رسل في كتابه "لماذا لست مسيحيا؟"

² أوغست كونت (1222هـ - 1274هـ = 1795م - 1857م): فيلسوف وناشط سياسي فرنسي، يعد أبا الفلسفة الوضعية. كان لفلسفته صدى واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. يعد مؤسسا لما يعرف الآن بفلسفة العلوم. فقد وضع اللبنة الأولى لفلسفة الرياضيات وفلسفة فيزياء وفلسفة الكيمياء، وكان له عناية بالبعد الاجتماعي لهذه العلوم عناية خاصة. من أهم أعماله "دورة في الفلسفة الوضعية" "نظام السياسة الوضعية" أو رسالة في العلم الاجتماعي: تأسيس للديانة الإنسانية" (تراجع المقالة المتعلقة به في موسوعة ستانفورد للفلسفة في الرابط التالي)

Bourdeau, Michel, "Auguste Comte", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2023 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <<https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/comte/>>.

³ تفصيل هذه المراحل أن المرحلة الأولى كانت ضرورية للبشرية في مهدها، حيث بدأ الناس يبحثون عن علة الأشياء والظواهر الطبيعية وعن الوحدة وراء هذا الكثرة، فلم يجدوا لها جوابا سوى أن نسبوها إلى آلهة وراء هذا الكون، تديره وتحرك خيوطه من حيث لا نرى. فما إن ألفوا ظاهرة تحيد عن مألوفهم إلا فسروها بتدخل إله من الآلهة. والمرحلة الثانية أيضا لا تختلف عن الأولى غير أن الإنسان فيها أحل محل الآلهة الكوائن المجردة وصاغ مفاهيم مطلقة. أما الأسئلة والمنظور الفكري فبقي كما هي. والمرحلة الثالثة التي هي مرحلة الوضعية فالإنسان يرفع عن التثقيب في ما وراء الطبيعة بحثا عن علل الظواهر، فيكتفي بالقوانين الحاكمة لها. فيبقى همه هو "كيف" ولا يجري وراء "لم". وكذلك يفيق من غفلة الإطلاق فيشطب المفاهيم المطلقة ويسطر مكانها المفاهيم الإضافية. وقد دخلت البشرية بالثورة العلمية في هذه المرحلة الثالثة الأخيرة. (يراجع لتفصيل ذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بأوجست كونت المعزوة إليها في الهامش السابق.)

ثم الدين مهما اختلف في تحديده وتعريفه، فإنه يشمل تصور كائن متعال يقده من يدينه. فأرباب الأديان السماوية تؤمن بالإله المتعالي الذي هو الله تعالى. فتصور الإله فكرة متجذرة في الدين أو في معظم الأديان⁴ لذلك نجد علماء الكلام والعقيدة يعتنون بأدلة وجود الإله من الناحية العقلية، ونلفي كذلك من ناوأ الحاجة إلى الدين منتقدا لتصور الإله⁵ ووجوده. وازدادت منذ قرن أو قرنين وتيرة إنكار الإله. من هنا كانت الحاجة إلى البرهنة على وجود الإله حاجة دائمة سرمدية.

من هنا، اخترنا علمين من أعلام علماء الكلام المسلمين ممن ولد في القرن التاسع عشر لدراسة طرق إثبات وجود الله تعالى لديهما وعقد المقارنة بينهما، وهما الشيخ مصطفى صبري (المتوفى: 1373 هـ / 1954 م)⁶ والعلامة ابن عاشور (المتوفى: 1393 هـ / 1973 م)⁷ اللذان وجدا أنفسهما في عصر متقارب، وقد كانت الأمة الإسلامية تواجه فيه تحديا وجوديا، وتبتلى بكوارث، وكانا ممن يسهر للأمة الإسلامية. وقد خص الشيخ مصطفى صبري فلاسفة الغرب المحدثين بالنقد وتقويم ما وجهوا إلى طرق إثبات وجود الإله لدى علماء الكلام من النقد. فمن ضرورتنا العلمية أن يعقد القرآن بينهما، ويبرز مناحي تناول كل منهما لهذا الجانب من علم الكلام وهو إثبات وجود الإله. فاخترت هذا الموضوع المقارن بينهما.

الدراسات السابقة:

لقد انعقدت بعض دراسات تناولت الجانب العقدي من هاتين الشخصيتين،

- مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور، مقال منشور في مجلة "فكر وإبداع". اكتفت فيها الباحثة بعرض خطوط عامة عن اتجاه العلامة ابن عاشور، ولم تتعرض لخصوص أدلة وجود الله تعالى،
- عبد السلام محمد عساف وأحمد عبد حسين العوايشة، منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهات إنكار وجود الله، مقال منشور في مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، غزة، فلسطين، العدد الرابع، 2021 م. هذا البحث كما هو جلي من عنوانه لم يتعرض لأدلة وجود الله، بل قام بتحليل طرق الشيخ لدفع ما يثيره الملحدون من الشبهات،
- سعود بن عبد الرحمن بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجامعة، رسالة الماجستير. لقد تعرض المصنف لأدلة وجود الله تعالى بتفصيل، وتناول الدليل الغائي ودليل الحدوث ودليل الإمكان ودليل الخلق ودليل الإدراك ودليل الوجدان أو الإرادة. ولكنه المحالظ أنه حينما تناول الدليل الغائي ساق كثيرا مما ذكره الشيخ صبري تحت الآيات القرآنية المتحدثة عما يجري في الطبيعة من الظواهر، وأبرز أن الشيخ استدلل في هذا الدليل بأقوال علماء الغرب أيضا ولكن ما لم يبينه هو وجه دلالة هذا الدليل وإبراز المقدمات التي يشيد عليها. فمقالي هذا يسد هذا الخلل. ثم ما سماه الباحث بدليل الخلق ليس إلا وجهها من وجوه دليل الحدوث. فإنه قام على حسب الباحث على "وجود الكائنات المحسوسة في الخارج وحصول صورها في الذهن" ونعلم أن الكائنات وما يتكون فينا من صورها من العالم الحادث.

⁴ فإن البوذية لا تؤمن بإله أو آلهة، ولكن يعدها المشتغلون بفلسفة الدين دينا.

⁵ نذكر على سبيل المثال الفيلسوف البريطاني برتراند رسل في كتابه "لماذا لست مسيحيا؟"

⁶ مصطفى صبري (1286 - 1373 هـ = 1869 - 1954 م): من علماء الحنفية. فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. ولد في توقات وتعلم بقبصرية في الأناضول وعين مدرسا في جامع محمد الفاتح، باستانبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقام الحركة الكمالية بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده فألف كتباً بالعربية، منها "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين" و"موقف البشر تحت سلطان القدر" وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. ووفاته بالقاهرة. (الزركلي، الأعلام: «الأعلام للزركلي: 7/ 236، دار العلم للملايين، 2002 م)

⁷ محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م): رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسه بها. عين شيخا للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول لنظام الاجتماعي في الإسلام والتحرير والتنوير في تفسير القرآن. (الزركلي، الأعلام: 6/ 174)

فلو رجعنا بوجه دلالة هذا الدليل إلى ما ينبني عليه من المقدمات، لعلمنا أنه لا يكتمل بغير ما سنقدمه في دليل الحدوث. والأمر نفسه فيما سماه دليل الإدراك الذي استدلل فيه الشيخ بموهبة الإدراك فينا على واهبها مادما لانجد ما يفسرها في هذا العالم. فهذا الدليل أيضا وجه من وجوه دليل الحدوث. فإنه يقوم على أن واهب الإدراك لابد أن يكون مغايرا للإدراك والمادة. وهذا أيضا مفروض في دليل الحدوث. والقول نفسه في دليل الإرادة الذي قام على الاستدلال بوجود الإرادة في الإنسان. ثم لم يتعرض الباحث لما تعرض له على وجه الخصوص من دليل الأخلاق الذي التجأ إليه الفيلسوف الشهير الألماني⁸ إيمانويل كانط وأبدى عواره.

- عبود، جمال مرشد وآخرون، المنهج النقدي عند شيخ الإسلام مصطفى صبري، رسالة الدكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2015م. مما يجب الاعتراف به أن هذا العمل قد توسع في تناول عمل الشيخ في جوانب متعددة، منها العقيدة وأدلة وجود الله تعالى. ولكن هذه الرسالة حينما فسحت نطاق بحثها، فلم تسطع أن تستوعب كل موضع من جميع جوانبها. فالرسالة تطرقت إلى أدلة وجود الله تعالى لدى الشيخ صبري، ولكنها تناولت دليل الإمكان وما سماه دليل الحس فقط. أما رسالتي فتعرضت إلى جانب ذلك الأدلة الأخرى التي تعرض لها الشيخ ومنها على وجه الخصوص دليل الحدوث.
- عبد الرؤوف تاج الدين صوان، مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، رسالة الدكتوراه المقدمة في جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان. هذه الدراسة كان جنوحها نحو الجانب المقاصدي للعلامة ابن عاشور في تناوله لمباحث العقيدة، وقد كان العلامة يشار إليه بالبنان في مقاصد الشريعة، فهذه الدراسة ألصق بدور العقيدة في تربية البشر ولكنها لم تتعرض لخصوص أدلة وجود الله تعالى على النحو الكلامي كما قامت هذه الدراسة التي بين يدي القارئ الكريم، ويضاف على كل هذا كله أن هذه الدراسة التي نقدمها بين يدي القارئ تعقد الوزن بين الشيخ مصطفى صبري والعلامة ابن عاشور في تناولهما لأدلة وجود الله تعالى بمنحى كلامي.

أسئلة البحث:

لعل أهم الأسئلة التي يطرحها هذا البحث تتمثل في ما يلي:

- ما الأدلة التي استند إليها الشيخ مصطفى صبري لأثبت وجود الله تعالى؟
- وما الأدلة التي عول عليها العلامة ابن عاشور لمعالجة قضية وجود الله تعالى؟
- وهل تعرضا هما أو أحدهما لدليل من أدلة وجود الله تعالى بالتضعيف؟
- وأين يتفقان؟ وأين يختلفان؟
- وما انفرد به أحدهما عن صاحبه في هذا المجال؟

خطة البحث:

تتألف هذه المقالة بالإضافة إلى خامسة من ستة مباحث، كل منها يعتني بدليل أو نوع من الأدلة المعالجة لإثبات وجود الله تعالى. فسيأتي بنا الدليل الوجودي والدليل الكوني ودليل الغاية من أدلة وجود الله تعالى. وكذلك وجد في الغرب بعض الفلاسفة ممن حاول إثبات ضرورة وجود الله من خلال ما يعرف بالدليل الأخلاقي، سننظر فيه. ونلقي نظرة على فطرية وجود الله تعالى في هذا الضمن

⁸إيمانويل كانط (1724م - 1804م) فيلسوف ألماني، كان له أثر بارز في مباحث ما بعد الطبيعة في العالم الغربي والعالم الإسلامي. فإنه قدم تحليلا للمنظومة المعرفية البشرية، حاول من خلاله البرهنة على أن النشاط الكلامي القائم على إثبات وجود الله تعالى من خلال الدليل العقلي مستحيل، بل منطوق على التناقض. فكان له صدى، وعمل لذلك كتابا سماه "نقد العقل الخالص". ثم جنح في كتابه "نقد العقل العملي" إلى أن الحاجة إلى الإله إنما تقوم على حاجة البشر إلى الأخلاق التي لا يقوم لها قائمة بغير تصور إله. (تراجع المقالة المتعلقة به في موسوعة ستانفورد في الرابط التالي: <https://plato.stanford.edu/archives/fall2024/entries/kant/>)

أيضا ونختتم الفصل بالدليل الذي أقره بعض العلماء وهو إثبات وجود الله تعالى من خلال معجزة الأنبياء. بالنظر إلى ذلك، اختطت لهذه المقالة بعد المقدمة التي نحن فيها الخطة التالية:

- المبحث الأول: الدليل الوجودي،
- المبحث الثاني: الدليل الكوني (دليل الإمكان والحدوث)،
- المبحث الثالث: دليل الغاية،
- المبحث الرابع: دليل الأخلاق،
- المبحث الخامس: دليل الفطرة،
- المبحث السادس: إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء،
- الخاتمة ينتهي بها هذا المقال ويجد فيها القارئ سرد أهم ما أسفر عنه من النتائج.

المبحث الأول: الدليل الوجودي

الدليل الوجودي بنسخه المتعددة يشير إلى استخراج العلم بوجود الله تعالى من تصور الإله نفسه بغير حاجة إلى الاستناد إلى شيء من العالم الخارجي كما هو الحال في الأدلة الأخرى التي سندرسها في سياق المقارنة بين مواقف العلامة ابن عاشور والشيخ صبري في المباحث الآتية. فهذا الدليل يعده من يعتد به متجزيا بالقضايا التحليلية القبلية الضرورية للوصول إلى القول بوجود الإله.⁹

يعد القديس أنسلم¹⁰ أبا عذرة هذا الدليل الذي قدمه في القرن الحادي عشر المسيحي، وشيده على تصور الأكمل الأعظم. ووجهه أن الفكر يستطيع أن يفترض موجودا لا أعظم منه ولا أكمل. وهذا الموجود لابد أن يكون متحققا في نفس الأمر؛ لأنه لو لم يكن كذلك، لأمكن أن يتصور موجود أعظم منه، ولكنه خلاف المفروض. فثبت أن ما يتصوره العقل من الموجود الأعظم الأكمل متحقق في نفس الأمر. فكأن هذا الدليل ينطلق مما في عقله من تصور إلى القول بتحقيقه في الخارج. وذلك الموجود الأكمل الأعظم هو الإله الذي نريد إثباته.¹¹

⁹يراجع لذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بالأدلة الوجودية على الرابط التالي:

Oppy, Graham, Joshua Rasmussen, and Joseph Schmid, "Ontological Arguments", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Winter 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), forthcoming URL = <<https://plato.stanford.edu/archives/win2024/entries/ontological-arguments/>>

¹⁰أنسلم (1033م – 1109م): فيلسوف إيطالي عرف في العصر الوسيط بلقب أوغسطس الثاني. كان أسقف كانتربري منذ 1093م. وهو صاحب البرهان على وجود الله تعالى المعروف بالبرهان الوجودي القائم على ضرورة مطابقة ما في أذهاننا من تصور الإله لما في نفس الأمر. (انظر: محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، ص 478)

¹¹المرجع السابق.

ثم جاء في العصر الحديث أبو الفلسفة الغربية الحديثة رينيه ديكارت¹² وأقام منظومته الفلسفية على وجود الإله الذي استند في إثبات وجوده إلى الدليل الوجودي. وقرر أنه كما يتناقض تصور مثلث غير ذي ثلاثة أبعاد، يتناقض تصور هذا الموجود الأكمل الأعظم الذي هو الإله غير موجود.¹³

ثم جاء الفيلسوف ليبنتز¹⁴ وحاول أن يسد في نسخة الدليل الديكارتي ما كان يراه فجوة. وذلك أن الدليل لا يستقيم بغير أن نبرهن على أن تصور الموجود الأكمل الأعظم متسق أيضا و أنه ليس مستحيلا. ثم تعلل بأنه لا يمكن أن نضع الإصبع في تصور الموجود الأعظم الأكمل الأوحده على ما كان تناقضا، فهو ليس مستحيلا.¹⁵

وقد تعرض هذا الدليل لانتقادات شديدة منذ ما قدم. وأشهر من انتقده في العصر الحديث هو الفيلسوف إيمانويل كانط الذي أشار إلى أن الدليل يفترض أن الوجود محمول حقيقي مع أنه مجرد رابطة. فهو مفهوم منطقي ليس وجوديا. والمنطقي لا يلزم أن يكون ممكنا وجوديا.¹⁶ ولم يحظ الدليل عند متكلمة الإسلام بحظوة إلا عند بعض الكتاب المعاصرين. قد قال الدكتور سعيد عبد اللطيف فودة¹⁷ - وهو باحث ومتكلم معاصر - حول ذلك:

"ويبدو أن الحجة الوجودية القائمة على الانطلاق من مجرد تحليل المفهوم الذهني للإله إلى إثبات الوجود الخارجي له لم تلاق قبولا بين الفلاسفة والمتكلمين في العصور الإسلامية. فبرغم بحثي عن قائل بما إلا أنني لم أجد شيئا من الأدلة يحقق معايير الحجة الوجودية." ¹⁸

سننظر فيما يلي أين يقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من هذا الدليل إن كان لهما ذلك!

¹² رينيه ديكارت (1596م - 1650م): فيلسوف فرنسي ورياضي. تخرج في المدرسة اليسوعية بلافليش وفي جامعة بواتييه، ثم التحق بالجيش. بعدئذ، قطن هولندا للبحث والتأمل قبل أن تدعوه ملكة السويد كريستينا سنة 1649م وتلبىها. مات بعد وصوله إلى السويد بقليل. من عبقريته أنه استطاع أن يعالج الجذور السالبة وينسق مجموعة رموز الجبر وينشئ الإحداثيات المعروفة باسمه. وابتكر كذلك الهندسة التحليلية. ثم إنه حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، وكان مفكرا حرا غير آخذ بالتقليد المدرسي. من مقولاته الشهيرة التي تفتل موقفه المعرفي قوله: "أنا أشك". حاول بذلك أن يثبت أنا مهما شكلنا، فلن نشك في وجودنا نحن. و أقام على ذلك وجود الله تعالى. كان جانحا إلى الثنائية في الوجود ويفصل فصلا حادا بين الفكر والمادة. يسمى ديكارت أبا الفلسفة الحديثة. كان لأفكاره تأثير عميق في المنهج التربوي في أوروبا فيما بعده. وهو منحى التفكير المنظم الحر. من كتبه التأملات في الفلسفة ومقال عن المنهج تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى. (انظر: محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، ص 1576)

¹³ المرجع السابق.

¹⁴ جوتفريد فيلهلم ليبنتز (1646م - 1716م): فيلسوف ورياضي ألماني، تعلم في موطنه ليبزج، في قصد يينا لمواصلة مسيرته التعليمية، وأنجز الدكتوراه في القانون في ألتدورف، ولكنه لم ينخرط إلى تدريس القانون بل اشتغل في مجال السفارة فعين في باريس وقضى فيها أربعة أعوام. لقد أبدع مجال حساب التفاضل والتكامل للمقادير المتناهية في الصغر باستقلال من نيوتن، ونشر عمله قبل نيوتن بتسعة أعوام، وقد قبل علماء هذا المجال اللغة والرموز التي استخدمها ليبنتز. من آرائه أن الوجود عدد لا نهاية له من الوحدات الروحية التي سماها مونادات، وهي مستقلة بذاتها. ومعظم ما خلفه من أعماله العلمية مقالات ورسائل تبادلها مع أصدقاءه حول فلسفته. (انظر: محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة: 2202)

¹⁵ راجع لذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بالأدلة الوجودية.

¹⁶ المرجع السابق.

¹⁷ سعيد عبد اللطيف فودة (مواليد مدينة الكرامة، 1967 م)، عالم دين مسلم له عدة مؤلفات. أستاذ في العقائد الإسلامية، وهو محقق ومتكلم وفق منهج أهل السنة الأشاعرة في العصر الحاضر، وله دراية واسعة بعلوم الفلسفة والمنطق، ويجيد اللغة الإنجليزية بجانب اللغة العربية، ويلقب بأبي الفداء وسيف أهل السنة. أصل عائلته من مدينة يافا الفلسطينية، من قرية بيت دجن، هاجر أهلها منها بعد الاحتلال الإسرائيلي فاستقروا في الأردن حيث ولد الشيخ سعيد.

¹⁸ سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، ص 94، منشورات الأصلين، 2016م.

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد عرج على الدليل عندما تعرض للفيلسوف ديكارت، وأبدى عواره في رأيه مع ثناءه على الفيلسوف.¹⁹ وكان سبب اشتغاله بنقد هذا الدليل أن بعض من كان يجله بدا معجبا به²⁰ وقد كان الشيخ صبري غير مرتاح للدليل الوجودي على وجود الله تعالى، ولم يكن يوصي به. فرأى لزاما على نفسه أن يبدي ما هو مبطن في هذا الدليل من ضعف ودخل. بين الشيخ أن هذا الدليل منطوق على مغالطة خفية. وهي مصادرة على المطلوب.²¹ ووجه ذلك:

"... أن استخراج البرهان على وجود الله من تصور القائلين به على أنه جامع لكل كمال. ومنه الوجود طبعاً توهم محض من نوع المصادرة على المطلوب؛ لأن إثبات وجود الله يتوقف على كونه جامع كل كمال في حين أن الحكم بكونه جامع كل كمال يتوقف على كونه موجوداً بناءً على القاعدة المنطقية القائلة بأن صدق القضية الموجبة مشروط بوجود موضوعها. فيتوقف إثبات وجود الله على كونه موجوداً وهو الدور²² والمصادرة على المطلوب.²³"

ثم ذهن الإنسان يتصور ما شاء أن يتصور ومجرد تصوره شيئاً لا يستلزم وجوده في نفس الواقع. فقال الشيخ في هذا الصدد:

"وقد قال علماؤنا المنطقيون: لاجر في التصورات. فقد يكون الذهن بسبب تصوره الله بمعنى الأكمل مضطراً إلى إضافة تصور إلى تصوره قائل²⁴ بوجود هذا الأكمل في الخارج من غير أن يكون لهذين التصورين المتولد بعضهما من بعض تأثير في الحقيقة.²⁵"

حتى إنا نسلم أن الذهن لا يتصور الأكمل إلا مقروناً بالوجود في الخارج ونفس الأمر. ولكن تصور الذهن لهذا الموجود الأكمل في الخارج ونفس الأمر لا يستلزم أنه فعلاً يتحقق في الخارج. في هذا المعنى يقول الشيخ:

"ونحن نسلم بأن غاية الكمال لا تتصور مع عدم وجود الأكمل، وإنما يتصور الأكمل في الذهن مقترناً بوجوده حتى وجوده الخارجي²⁶ أي مقترناً بتصور وجوده في الخارج لكون²⁷ محل هذا الاقتران هو التصور الذي فيه مستعد للموجود والمعدوم

¹⁹ يقول الشيخ في موضع: "إني جد معجب بإيمان هذا الرجل العظيم الذي يكفك شاهدة لعظمته في إيمانه وعلمه قوله: إن الله مبدأ العلم كما أنه مبدأ الوجود وهو مبنى اليقين النظري." (صبري، العقل والنقل: 178/2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2021م)

ويقول في موضع آخر عنه: "وهذا الرجل من كمال إيمانه بالله لا ينتقل إلى إدراك وجود الله من وجود العالم كما هو الترتيب في الاستدلال المعروف بل عكسه." (المرجع السابق)
²⁰ صبري، العقل والنقل: 188/2.

²¹ المصادرة على المطلوب هي توقف مقدمة الدليل على ثبوت المدعى أو هي الخطأ في الصورة حيث لا تنتج المقدمات غير نفسها مثل قولنا: هذه نقلة، وكل نقلة حركة. فهذه حركة. فهنا النقلة هي الحركة، ليست إلا. فالنتيجة التي هي "هذه حركة" لا تختلف عن المقدمة الصغرى التي هي "هذه نقلة". (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/ 1554)

²² والدور عند الحكماء والمتكلمين والصوفية توقف كل من الشئيين على الآخر إما بمرتبة ويسمى دوراً مصرحاً وصريحاً وظاهراً كقولك الشمس كوكب نهارى والنهار زمان كون الشمس طالعة، وإما بأكثر من مرتبة ويسمى دوراً مضمرّاً وخفياً كقولك الحركة خروج الشئ من القوة إلى الفعل بالتدرج، والتدرج وقوع الشئ في زمان، والزمان مقدار الحركة ... والدور يستلزم التسلسل. (راجع: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 811)

²³ المرجع السابق: 190/2.

²⁴ قائل "صفة لتصور. يقصد أن الذهن يضيف إلى تصور الإله تصور آخر. ذلك التصور الآخر يشتمل على تصور وجود الأكمل في الخارج. فنسبة القول إلى التصور مجازي. كأن التصور حينما انطوى على شيء، فهو قائل به.

²⁵ المرجع السابق.

²⁶ يقصد أن تصور الوجود الخارجي لذلك الشئ أيضاً تصور، لا يتطلب بذاته تحققه في الواقع ونفس الأمر.

²⁷ لعل لعدم استلزام تصور الوجود الخارجي تحققه في الواقع ونفس الأمر. ويقصد أن عدم الاستلزام ناشئ عن حقيقة وهي أن اقتران الشئ بالوجود إنما ينجم في الذهن، فلا يستلزم بذاته وبغير دليل آخر ما في الخارج ونفس الأمر.

والموجودين المتلازمين²⁸ والمعدومين المتلازمين. ولكن لا يلزم من حضور الأكمل ووجوده الخارجي في تصور ذهن مجتمعين غير منفكين تحققهما في الخارج كذلك.²⁹

فعرفنا بذلك أن الشيخ غير راض بقيمة هذا الدليل في ميزان الاستدلال، ولا يعتد به. وهذا يخبرنا أيضا بأن الشيخ على الرغم من أنه وجد نفسه في خضم التيارات التي كانت تحاول أن تودي بأسس الإسلام التي من أولها وجود الله تعالى، على الرغم من ذلك لم يتسرع إلى أن يقبل بكل ما قيل في المحاماة عن تلك الأسس، بل كان متخيرا منه ما ألفاه في رأيه منسجما مع المنهج العلمي الرصين القائم على الاستدلال الصحيح، وملتزمًا به ومتقيدا.³⁰

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فلم يعرج على هذا الدليل لا إثباتا ولانفيا. هذا وقد جنح صدر الدين الشيرازي³¹ إلى أن نسخته للدليل الوجودي مشار إليها³² في قول الله تعالى:

سَمَحَ سُرِّيهِمْ ءَايَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٣ سَجَىٰ³³

ولكن لم يتعرض العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية علاقتها بالدليل الوجودي مع أنه في تفسيره يلتزم عند تفسير آية أن يعالج ما يتصل بها لغة وفقها وكلاما.

المبحث الثاني: الدليل الكوني (دليل الإمكان والحدوث)

إن ما يسمى بالدليل الكوني هو في الحقيقة مجموعة من الطرق الدالة على وجود الله تعالى، وتنطلق من وجود هذا العالم المشاهد و تقرر أنه ممكن بمعنى الافتقار إلى غيره في الوجود وتخط رحالها عند موجود واجب الوجود،³⁴ يسمى الإله أو الله. ينبثق هذا الدليل عن السؤال الذي يثور في ذهن البشر وهو: "لماذا الوجود؟ ولم لم يوجد العدم؟"

أما فيما يتعلق بتاريخ هذا الدليل فيرجع الباحثون بجذوره في السياق الغربي إلى أفلاطون في كتابه "القانون". ولكن أرسطو هو الذي أبرز قسماته في "الطبيعيات" و"مابعد الطبيعة". ثم جاء دور الفلاسفة الإسلاميين الذين أثروا الحوار حول هذا الدليل الكوني. وقد أبدع ابن سينا من فلاسفة الإسلام نسخة من الدليل الكوني مبنية على تصور الإمكان، وقد تلقاها فيما بعد الفيلسوف المسيحي القديس توماس أكويناس.³⁵

²⁸ عطف على "الموجود والمعدوم" تكميلا لإمكانات عقلية أخرى. فذكر أولا أن العقل كما يستطيع أن يتصور الموجود وأن يتصور المعدوم، كذلك يستطيع أن يتصور موجودين وينسج بينهما علاقة التلازم، ومعدومين ويخطهما بالتلازم. فهذا تفصيل لما أجمله من قبل حينما قال: "لا حجر في التصورات". ولكن هذه التصرفات العقلية التصورية بنفسها لا تستلزم الوجود الخارجي.

²⁹ صبري، العقل والنقل: 190/2.

³⁰ فلم يكن ذرائعا (براجماتيا) يزن قوة الدليل بالفائدة المرجوة من وراءه.

³¹ محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي الملا صدر الدين (980هـ-1050هـ = 1572م-1640م): فيلسوف، من القائلين بوحدة الوجود، من أهل شيراز، فارسي المحتد. عربي التصانيف رحل إلى أصبهان وتعلم فيها. وتوفي بالبصرة وهو متوجه إلى مكة حاجا. من كتبه أسرار الآيات و جزء في التفسير والأسفار الأربعة في الحكمة وشرح أصول السكاكي وشرح الهداية للأخري في الحكمة. (الركلي، الأعلام 5/ 303)

³² صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة: 14/6، دار إحياء التراث العربي، 1990م.

³³ قُصِّلَتْ: □□□□.

³⁴ وقال العلامة التفتازاني: "الله تعالى أي الذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلا." (التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص 31).

³⁵ تراجع مقالة ستانفورد المتعلقة بالدليل الكوني في الرابط التالي:

وإذا شئنا أن نعرف مسيرة هذا الدليل، فهذا الدليل ينتهي في ثلاث محطات:

- الخطة الأولى أنا نشاهد الحوادث مشاهدة لا تحتاج إلى استدلال عقلي. فإنها بديهية تأتي عن طريق الحس.
- الخطة الثانية أن الحوادث في ماهيتها تنطوي على الوجود بعد العدم. فهي ممكنة إمكانا بمعنى الاحتياج إلى غيرها في وجودها. ويستدل على سبق العدم لهذا العالم المشاهد واقتضاه إما بالحركة التي لا بد لها من محرك غير متحرك وإما بتركب العالم الذي يستلزم احتياجه إلى من يركبه وإما بزيادة الوجود على الماهية وإما باحتياج العالم إلى مخصص وإما بغير ذلك من الاعتبارات.

36

- الخطة الثالثة أنه لا بد أن تنتهي سلسلة الحوادث أو الممكنات إلى الموجود الذي ليس حادثا ممكنا بل هو قديم واجب. سبب ذلك أن التسلسل باطل. بهذا يثبت وجود الواجب الوجود.

عادة ما ينوع هذا الدليل إلى دليل الإمكان ودليل الحدوث. فالأول يثبت أن هذا العالم ممكن يحتاج إلى الواجب. والثاني يثبت أن العالم حادث يحتاج إلى المحدث. وعادة ما اتكأ الفلاسفة القائلون بقدم العالم بدليل الإمكان، ورفضوا دليل الحدوث بل سخروا منه. وأما المتكلمون فهم قبلوا دليل الإمكان، ولكن دليل الحدوث عندهم أكثر قبولا. والسبب أن العالم عندهم حادث. ثم الفرق بين المتكلمين والفلاسفة القائلين بقدم العالم أن الفئة الأولى ترى العالم ممكنا حادثا. فهو مفتقر إلى واجب الوجود ومنبثق من العدم إلى الوجود. أما الفئة الثانية فتري أن العالم ممكن محتاج يستلزم وجود واجب الوجود، ولكنه ليس حادثا بل هو قديم. ولكن المتكلمين لا يفرقون بين الإمكان والحدوث تحققا. فالحدوث عندهم ممكن. والممكن عندهم حادث.³⁷ ثم من ميزة دليل الحدوث أنه لا يثبت ذات الله وحدها، بل يثبت إلى جانبها صفاته من الحياة والعلم والإرادة والقدرة أيضا فيما لا يثبت دليل الإمكان إلا ذات الله تعالى الواجبة الوجود المحتاج إليها.

لننظر ما كان لدى الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من كلام حول هذا الدليل!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فأول ما نريد أن نلفت نظر القارئ إليه هو أنه أيضا لا يفصل بين الدليلين، بل يؤلف بينهما، وقد أشار إلى ذلك بنفسه بقوله:

"كنا جنحنا في الخلاصة السابقة إلى مسلك الإمكان ونجرح في التفصيل إلى مسلك الحدوث لكونه أوضح".³⁸

فعرفنا من ذلك أنه يجمع بينهما في سياق واحد ويرى الحدوث والإمكان متلازمين. ثم الملاحظ أن الشيخ صبري أكثر تفصيلا من العلامة ابن عاشور الذي سيأتي موقفه، فهو يبدأ بإيضاح التصورات، ويقول:

"وليس في الموجودات ما يثبت وجوده من طريق وجوبه، إلا الله؛ لأن كل ما سواه موجود، لا ضرورة لوجوده، ولا استحالة لعدمه، ويسمونه الممكن، والله هو الواجب. فلا موجود أحق منه تعالى بأن يكون موجودا، فهو أحق بالوجود من مثبتيه

Reichenbach, Bruce, "Cosmological Argument", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <<https://plato.stanford.edu/archives/sum2024/entries/cosmological-argument/>>

³⁶ سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 149.

³⁷ سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 217.

³⁸ هامش صبري، العقل والنقل: 142/2.

ونُفاته، ومن كل ما يثبت المثبتون، وليس في الدنيا أحق وأضل من نفاته، أو الشاكين في وجوده؛ إذ يمكن كل شيء أن لا يكون موجوداً، أو يُشكَّ في وجوده، لأنه ممكن يقبل الوجود والعدم، ليس وجوده إذا كان موجوداً ضرورياً، ولا عدمه إذا كان معدوماً ولا يمكن أن لا يكون الله موجوداً، ولو فرض عدمه كان هذا فرض عدم من يجب وجوده، وهو تناقض محال. أما أنه لا بد في الموجودات من وجود موجود، واجب الوجود، فنحن نحكم به، موقنين من دون أن نراه، مستدلين على وجوده من وجود الموجودات الممكنة الوجود، التي نراها، ونشاهدها، والتي لا يتسنى لها أن توجد، لولا وجود ذلك الموجود، الواجب الوجود. "39

فيقوم الشيخ صبري بتوضيح مصطلحات الوجوب والإمكان والمنتاع فيقول:

"وتوضيح هذا المقام أن الموجود ينقسم إلى الواجب والممكن. والمعدوم ينقسم إلى الممتنع والممكن. فالواجب ما لا يمكن عدمه، وهو الله. والممتنع ما لا يمكن وجوده كشريك الباري واجتماع النقيضين. والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه. فمنه ما يكون موجوداً، ومنه ما يكون معدوماً. "40

ثم يذكر مثالا لكل من الواجب والممكن ويقول:

"مثال الأول جميع الكائنات المسمى بالعالم، والمفسَّر بما سوى الله. ومثال الثاني العنقاء، فهي معدومة، لا يمتنع وجودها. والعالم بجميع أجزائه، موجود لا يمتنع عدمه، لعدم كونه واجب الوجود. "41

لم يذكر مثال الممتنع بما أنه لم يتعلق به غرض له في هذا السياق. ثم أشار إلى المحطة الأولى من الدليل بقوله: "العالم بجميع أجزائه موجود ... لعدم كونه واجب الوجود".

ثم يخطو الشيخ خطوة إلى الإمام وينزل في المحطة الثانية حينما يذكر الحكم المتعلق بالممكن بقوله:

"وجود الموجود في غير واجب الوجود، أي في الممكنات لا يكون إلا بإيجاد، وإلا لزم الرجحان من غير مرجح، وهو محال متضمن للتناقض؛ لأن الممكن الذي لا يكون وجوده ولا عدمه ضرورياً، وتكون قابليته للوجود والعدم على السواء، من غير رجحان أحد الجانبين على الآخر، إلا بمرجح خارج منه، لو⁴² كان موجوداً بنفسه من غير موجد يرجح له جانب الوجود، لزم رجحان هذا الجانب، من غير مرجح يرجح له ذلك، لا من نفسه لتساوي الجانبين بالنسبة إليه، ولا من الخارج لعدم وجود موجد له، والرجحان من غير سبب مرجح محال مناقض لتساوي الطرفين المفروض "43. 44

ثم يطبق هذا الحكم على العالم ويقول:

³⁹صبري، العقل والنقل: 3/2.

⁴⁰المرجع السابق.

⁴¹المرجع السابق: 62/2 - 63.

⁴² "لو ... خير لقوله: "لأن الممكن الذي ...".

⁴³المفروض صفة لقوله: "تساوي" لا "الطرفين".

⁴⁴صبري، العقل والنقل: 62/2 - 63.

"ومن أجل أنه ممكن لا واجب، فهو يحتاج إلى موجود آخر يتقدمه في الوجود، ليستند وجوده إلى وجوده، ولا يكون له الوجود المشهود رجحانا من غير مرجح، أي محالا كما علمت ذلك، مع أن المحال لا يكون واقعا مشهودا فوجود العالم يدل دلالة قطعية على وجود موجود آخر وراءه، لعدم إمكان أن يتسنى له الوجود بدون هذا الموجود".⁴⁵

كأن الشيخ لم يتطرق إلى المحطة الثالثة، وربما يذهب ظن القارئ إلى أنه أجرى الدليل الكوني بغير أن يعرج على إبطال التسلسل، وقد ظن هذا الأمر قبل ذلك، ورده العلامة التفتازاني - رحمه الله تعالى - أيضا بل صرح بأن هذا الدليل بهذا التفصيل الذي ذكرناه عن الشيخ صبري متضمنا لإبطال التسلسل. فقال:

"وقد يتوهم أن هذا دليل على الصانع من غير افتقار إلى إبطال التسلسل، وليس كذلك. بل هو إشارة إلى أحد أدلة بطلان التسلسل وهو أنه لو ترتب سلسلة الممكنات لا إلى نهاية، لاحتاجت إلى علة وهي لا يجوز أن يكون نفسها ولا بعضها لاستحالة كون الشيء علة لنفسه ولعلله بل خارجا عنها، فيكون واجبا، فتقطع السلسلة".⁴⁶

وقد أشار الشيخ بهذا الوجه بعد ما مر بقليل فقال:

"فقد انجلي من هذا أن العالم الذي يحتاج في وجوده إلى غيره لا يمكنه أن يقضي حاجته هذه من نفسه ومن داخله لشمول الإمكان الذي هو رمز الحاجة جميع⁴⁷ أجزائه فيلزم وجود موجود آخر غير محتاج ليقضي حاجة العالم المحتاج ويكون موجدته".⁴⁸

فأشار في قوله: "موجود آخر غير محتاج" إلى أن الواجب الذي يحتاج إليه الممكن يلزم أن يكون غير محتاج. فالذي لا يحتاج إلى غيره تنقطع عنده السلسلة. فالدليل قائم على الإقرار ببطلان تسلسل العلل والمعلولات. بل قد صرح المصنف على وجه كلي بعد صفحات أن كل دليل يقام على إثبات وجود الله تعالى مبني على بطلان التسلسل. فإنه قال في سياق احتياج الإدراك الحاصل بالحواس إلى الخالق:

"نعم، كون خالق هذا الإدراك بواسطة الحواس هو الله إنما يتم بعد أن ينضم إلى دليلي هذا دليل بطلان التسلسل الذي احتاج كل دليل لإثبات الواجب إلى انضمامه إليه".⁴⁹

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فقد تعرض للدليل الكوني من جهة الإمكان ومن جهة الحدوث. ونجده يذكر الحدوث والإمكان في سياق واحد. قد ذكر ذلك في تفسير قول الله تعالى: **سَمِحَ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٤٢ سَجَى**⁵⁰ حيث قال:

"وفي الآية معنى ثالث وهو انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله ووحدانيته لأن الناظر إلى الكائنات يعلم أن وجودها ممكن غير واجب فلا بد لها من موجود، فإذا خيلت الوسوسة للناظر أن يفرض للكائنات موجدًا مما يبدو له من نحو الشمس أو القمر أو النار لما يرى فيها من عظم الفاعلية، لم يلبث أن يظهر له أن ذلك المفروض لا يخلو عن تغير يدل على حدوثه فلا بد له من محدث أوجده فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات الإلهية كما في قصة إبراهيم **سَمِحَ فَلَمَّا جَنَّ**

⁴⁵المرجع السابق: 62/2 - 63.

⁴⁶التفتازاني، شرح العقائد النسفية: 31 - 32.

⁴⁷مفعول به للمصدر "شئ".

⁴⁸صبري، العقل والنقل: 64/2.

⁴⁹المرجع السابق: 73/2.

⁵⁰النَّجْم : □ □ □

عَلَيْهِ أَلَيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ٧٦ سَجَى سجداً الأنعام : تمتدحسجد الآيات، لم يجد العقل بدا من الانتهاء إلى وجوب وجود صانع لممكنات كلها، وجوده غير ممكن بل واجب، وأن يكون متصفا بصفات الكمال وهو الإله الحق، فالله هو المنتهى الذي ينتهي إليه استدلال العقل.⁵¹

فالملاحظ هنا:

- أنه ذكر المخطئة الأولى بقوله: "انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله".
 - ثم أشار إلى المخطئة الثانية حينما ذكر وجه هذه الدلالة بأن "وجودها ممكن غير واجب، فلا بل لها من موجود".
 - وأنه ورد المخطئة الثالثة حينما نفى التسلسل بقوله: "فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات..."
 - هذا والعلامة ذكر الإمكان والحدوث في سياق واحد. فذكر في البداية "أن وجودها ممكن" ثم قرر حدوث هذا الممكن بقوله: "لا يخلو عن تغيير يدل على حدوثه فلا بد له من محدث أوجده"، فانتهى إلى إثبات ذات الله مع صفاته بقوله: "وجوده غير ممكن بل واجب، وأن يكون متصفا بصفات الكمال". فعرّفنا بذلك أن العلامة على غرار تيار المتكلمين لا يفصل بين الممكن والحدوث، بل يربهما متلازمين فيؤلف بين الدليلين.
- فتحصل لنا بهذا التفصيل أن العلامة ابن عاشور سار نفس المسير الذي ساره الشيخ صبري في تقرير الدليل الكوني وفي التأليف بين الوجه الإمكانى والوجه الحدوثى.

المبحث الثالث: دليل الغاية

إن العالم يشع بحسن الهيئة ودقة جريان ما فيه من الحوادث وإنه يمتلئ تناغما وانسجاما، أمكن معه أن يلائم حياة البشر. ثم إن هذا العالم أيضا معقول، يقدر العقل أن يتفهم ويدرك القوانين التي تحكمه. فانتقل ذهن بعض الناس من ذلك إلى أن وراءه عقلا مريدا مدبرا وهو وراء هذا الكون. وقد درجت الأذهان الفلسفية على صبغ هذه الفكرة في صورة فلسفية من دليل علمي منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا. وهذا الدليل قوامه العناية والإتقان والمخطئة والغاية والإرادة والتصميم، يلعب بالدليل الغائي أو دليل التصميم الذكي أو دليل العناية. هذا الدليل أقرب الأدلة إلى أذهان عامة الناس. وإليه أشار قول الأعرابي الشهير حيث قال:

إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكلك علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصنّاع الخبير.⁵²

وقد أشار إليه إمام الهدى الإمام الماتريدي في تفسيره حيث قال:

"قوله عز وجل: **سَمِحٌ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ٤١ سَجَى**⁵³. ذكر هذا - والله أعلم - مقابل ما كان منهم من تحريم ما أحل الله لهم ورزقهم من الحرث، والزرع، والأنعام، والانتفاع بها، فقال: أنشأ جنات وبساتين من تأمل فيها وتفكر، عرف أن منشئها مالك حكيم مدبر؛ لأنه ينبتها ويخرجها من الأرض في لحظة ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها: أن كيف خرج؟ وكما خرج؟ وأي قدر ثبت؟ ما قدروا على ذلك؛ كقوله: **سَمِحٌ وَأُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ**

⁵¹ محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27 / 141، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

⁵² ابن جوزي، زاد المسير في علم التفسير: 1 / 266، دار الكتب العربي، بيروت، 2001هـ.

⁵³ الأنعام: □□□□.

كُلِّ شَيْءٌ مَّوْزُونٌ ١٩ سَجَى⁵⁴ ويخرج من الورق والثمار على ميزان واحد: ما لو جهدوا كل الجهد أن يعرفوا الفضل والتفاوت بين الأوراق والثمار ما قدروا، وما وجدوا فيها تفاوتاً. ويخرج -أيضاً- كل عام من الثمار والأوراق ما يشبه العام الأول. فدل ذلك كله أن منشئها ومحدثها مالك حكيم، وضع كل شيء موضعه.⁵⁵

هذا ويمكن توزيع الاستدلال بهذا الدليل في صورة علمية محكمة إلى المخطات التالية:

- أن الكون يشتمل على صنع وتوافق وتأليفات، لاحصر لها، مناسبة لحياة الإنسان. وذلك بحسب مراحل حياته المختلفة.
- لا يمكن عند النظر المتعقل أن نزع أن كل ذلك التوافق في الخلق يكون صدفة وبطريقة عشوائية.
- إذا بطل أن يكون ذلك بطريقة عشوائية، فإنه يلزم أن نقول: إن الترتيب المشار إليه لا يتم إلا بصانع ومدبر قاصد إلى هذه الهيئة دون غيرها؛ لأنه لا يوجد احتمال ثالث غير هذين الاحتمالين. فإن بطل أحدهما، لزم الآخر خصوصاً إذا كان أقرب إلى تفسير الظاهرة وممكننا في نفسه ومقبولاً عقلاً.
- كل ذلك يدل دلالة كافية على أن الإله المدبر هو من اعتنى بهذه الخلقة لكي تحصل على هذه الصورة من التناسب والتوافق والتلاؤم.

- إذن الإله موجود بما تدل عليه هذه الطريقة من النظر.⁵⁶

هذا وقد ذكر بعض الباحثين دليل التعاون مستخرجاً من كلام الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، قوامه أن هذا الكون يحوي كائنات شتى، فهي تتكامل وتتناغم وهي تتعاون وتتعاقد، وإذا ذهبنا نبحت عن سر هذا التكامل والتناغم وهذا التعاون والتعاقد، لم نجد عند أحد من الخلق. فلا بد من الاعتراف بأن هذه الكائنات الشيت تحت رعاية رب واحد أحد. فعرنا بذلك وجود الإله.⁵⁷ ولكن الحقيقة أن هذا ليس دليلاً مستقلاً، بل هو وجه من وجوه دليل الغاية والعناية. فإنه يدل على عناية ربانية سارية في هذا الكون. وكذلك نجد الباحث صير "دليل النظام" دليلاً مستقلاً عن دليل العناية مع أن كل ما في دليل النظام هو "وضع الأرض داخل المنظومة الشمسية وجريانها بنظام متقن"⁵⁸، فهو في حقيقة الأمر وجه من وجوه دليل العناية والغاية، ليس إلا.

لنتقل إلى الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور وننظر ما لديهما حول هذا الدليل!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد أثنى على هذا الدليل - دليل الغاية - وسماه دليل القرآن واعترف بأنه أكثر الأدلة جلاء لوجود الله تعالى. قال:

"ولامانع من أن نسوقه نحن في هذا الكتاب دليلاً لإثبات وجود الله كما فعله علماء الغرب وقد اعتنى القرآن الكريم به أكثر من غيره حتى أمكنت تسميته بدليل القرآن؛ لأن كثيراً من آياته ... طافح به، وهو أثري الأدلة وأوسعها وأكثرها استعداداً لنصرة المستدل وخذلان المنكر وأوقفها لأمزجة العصريين."⁵⁹

⁵⁴ الحَجَر : □□□.

⁵⁵ الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 4 / 272.

⁵⁶ سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 325 - 326.

⁵⁷ أحمد محمد سالم، تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي: 245 - 246. (لم أجد تفاصيل الطباعة في النسخة المتوفرة على الشبكة).

⁵⁸ المرجع السابق: 251 - 252.

⁵⁹ صبري، العقل والنقل: 292/2.

والجدير بالذكر هنا أن الشيخ يضع هذا الدليل في موضعه اللائق به في علم المعرفة – وهو الأمر الذي لم نجده لدى العلامة ابن عاشور كما سيأتي – فيصرح بأنه دليل مبني على التجربة. فيستهل بيانه لهذا الدليل بقوله:

"إن مسألة وجود الله الذي هو أساس الدين لايعوزنا إثباتها بالدليل التجريبي بعد إثباتها بالدليل العقلي. فإليك الدليل الذي يسميه الفلاسفة دليل العلة الغائية والمتكلمون من علماء الإسلام يسمونه دليل الحكمة، ودليل نظام العالم ويستدلون به على صفات الله." 60

فقوله هذا يوضح لنا أن هذا الدليل مبني على التجربة وأنه "دليل تجريبي" وأنه لا يثبت ذات الله تعالى، بل يثبت صفاته. ثم نقل عن بعض الباحثين أن سقراط هو واضع هذا الدليل وأن أفلاطون ونيوتن 61 أكدوا دلالة هذا الدليل. 62 هذا ويمكن تلخيص الدليل عند الشيخ في النقاط الآتية:

- كل ما يوجد في العالم من الإتقان يدل على كائن "مدرك مريد". فما ذلك المدرك المريد؟ يقول الشيخ إجابة لهذا التساؤل: "فهذا الإدراك وهذه الإرادة المحسوستان 63 في نظام العالم حسا لا قبل لإنكاره يضطرانا 64 إلى الفحص عن وجود مدرك تحار الأبواب في مدى عظمة إدراكه ... فمن هذا المدرك؟" 65
- أهو مادة؟ ولكن المادة العديمة الحياة لا يمكن أن يكون مدركا مريدا؟ فإن الإدراك من شرطه الحياة كما مر. 66 فيستحيل أن تكون الطبيعة ذلك المرشح. ثم تحليل ما يسمى بالطبيعة لا يشكف عن عنصر مدرك مريد. لذلك نجد أن الملاحظة يستندون إلى المصادفة لتفسير ما يشاهد في العالم من الانتظام. يقول الشيخ بهذا الصدد: "هل هو المادة التي لا مناسبة بينها وبين الإدراك؟ حتى إن الإنسان ينطوي على الإدراك وينطوي على المادة ولا تشعر مادته بما فيه من الإدراك. فلو كان الإدراك في مادته لأدرك يديه ورجليه كما أدرك بعقله. وحتى إن هذا الإنسان المدرك لا يبلغ إدراكه كل ما يجري في بدنه من نظام الحياة. فمادة الإنسان التي هي أقرب المواد إليه تأبى أن تنقاد لإدراك وتدخل في حوزة شموله. فكما أن المادة ليست من شأنها أن تدرك، فليس من شأنها أن يتصل بها الإدراك. فبينها وبين الإدراك تناف من الطرفين حتى إن المخ الذي يعتبر الماديون لإدراك فعله، ليس له شعور بنفسه. بله أن يكون هو المدرك والإنسان المدرك أيضا لا يشعر بوجود مخه إلا بوساطة التعلم والاستخبار." 67
- ثم أهو الإنسان نفسه؟ ولكن لا قائل به. وقاضي الحس يقضي بأن الإنسان يستحيل أن يكون هو ذلك المدرك الذي أوجد هذه الدقة. يقول الشيخ: "فيفهم من جميع ذلك أن الإنسان المدرك يعيش تحت سلطان إدراك آخر أعظم من إدراكه وأعم. وإذا كان الإنسان المدرك لا يكفيه إدراكه فيكون تحت سلطان إدراك آخر، فما بال غيره من المواد التي لا علاقة لها بالإدراك أصلا."

60 المرجع السابق.

61 إسحاق نيوتن (1642م – 1727م): فيزيائي ورياضي وفيلسوف إنجليزي. يعد من أعظم علماء القرن الثامن عشر في الفيزياء والرياضيات. حلل الضوء العادي إلى ألوان الطيف المعروفة بمعونة المنشور الزجاجي. كان عمله هذا حجر زاوية لعلم الطيفيات. ومن إنجازاته بالإضافة إلى ذلك التوفيق بين النظرية الجسيمية والنظرية الموجية لتفسير ظواهر الضوء المختلفة واختراع المنظار الفلكي الحايي للمرأة العاكسة ووضع قوانين الجاذبية والحركة المشهورة. وقد تخيرته الجمعية الملكية بالإنجلترا رئيسا لنفسها تقديرا لأعمالها. (انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة: 3460)

62 صبري، العقل والنقل: 292/2.

63 كان الأفضل أن يغلب تذكير كلمة الإدراك على تأنيث كلمة الإرادة كما هو الغالب في كلام العرب ويقول: "المحسوسان"، ولكنه اعتد بالأقرب، فأعطى له الأولوية، فقال: "المحسوستان".

64 وقد راعى هنا الأنصح، وعاد بالضمير المبني للتذكير، ولم يقل: "تضطرانا".

65 صبري، العقل والنقل: 293/2.

66 راجع ص 97 وما بعدها من هذه الرسالة.

67 صبري، العقل والنقل: 293/2.

- فيدل كل ما مر على أن وراء هذا العالم موجودا يملك الإدراك والإرادة وهو الذي خلق هذا الكون وأتقنه. وهو الله الذي نريد إثباته. يقول الشيخ في صده: "فكل ما في الكون من نظام وإحكام ينتهي العلماء الكاشفون أسرارها ولا تنتهي أسرارها يدل دلالة ناصعة على علم واضعيهما وإرادته وقدرته اللامتناهية وبالأولى على وجوده".⁶⁸ بذلك انتهى معالجة الشيخ صبري لهذا الدليل دليل العناية.

ابن عاشور: أما كلام العلامة ابن عاشور عن دليل الغاية وهو في سياق تفسيره كلام الله تعالى فحدث عن البحر ولا حرج. فالعلامة ابن عاشور - رحمه الله تعالى - يثير في ثنايا تفسيره ما كمن في الآيات الكريمة من الدلائل على وجود الله تعالى المبنية على الاستدلال بخلق الله تعالى وما أودعه في العالم من الأسرار. وإنما نجتزئ بواحد منها. فقد ذكر تحت قول الله تعالى: **سَمَحَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ سَجَى**⁶⁹ ما يلي:

"وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت يدل على تفرد مكوّنه تعالى بالإلهية إذ لا يقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى فإن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني وخلق النطق والإلهام إلى اللغة وخلق الحواس وحركة الدورة الدموية وانتساق الأعضاء الرئيسة وتفاعلها وتسوية المفاصل والعضلات والأعصاب والشرابين وحالها بين الارتقاء واليبس فإنه إذا غلب عليها التيبس جاء العجز وإذا غلب الارتقاء جاء الموت".⁷⁰

فالعلامة استدل بكل ما في هذا العالم الكبير والعالم الصغير الذي هو الإنسان على وجود موجود مدبر مريد.

المبحث الرابع: دليل الأخلاق

لقد رأينا أصنافاً من المناحي الدالة على وجود الله تعالى من الدليل الوجودي والدليل الكوني ودليل الغاية. ولكن القائمة لم تنته بعد. فإنه قد وجد أناس، استندوا إلى ناحية أخرى من حياة البشر لإثبات وجود الله تعالى. وهي أشد نواحيه خطورة. ألا وهي ناحية الأخلاق. والدليل الذي يستدل بوجود الأخلاق على وجود الله تعالى هو المسمى بدليل الأخلاق. ينطلق هذا الدليل من إثارة سؤال عن وجود الأخلاق في البشر ما مصدره؟ فيمثل أمامنا ثلاثة احتمالات:

- أن مصدره هو الله تعالى،
 - وأن مصدره هو طبيعتنا. فهي مغروزة فينا، ولانستطيع أن نتملص منها مهما ابتغيينا.
 - وأن مصدره أعراف الناس.
- لاغرو أن الاحتمال الأول يفترض وجود الله تعالى مسبقاً. فهو لا يدخل فيما نحن فيه. فإننا نتحدث عن الوضع الذي لم يثبت وجود الله تعالى بعد. وأما الاحتمال الثالث فهو قائم على أن الأخلاق ليست شيئاً حقيقياً، بل مما يصطلح عليه الناس. فليس لها أساس موضوعي. بل هي تابعة للأعراف تتفاوت بتفاوتها.

أما الاحتمال الثاني فهو الذي يعيننا هنا، وهو يفترض أن الأخلاق لها أساس موضوعي، وهي مطلقة في أساسها. وهذا الاحتمال هو الذي يستند إليه من يريد إثبات الإله. لا بد من التنبيه هنا على أن من القائلين بموضوعية الأخلاق من هو ملحد. على كل

⁶⁸ المرجع السابق: 295/2.

⁶⁹ الدَّارِيَّاتُ : □□□□.

⁷⁰ محمد، ابن عاشور، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 353 / 26.

حال، نرجع إلى إثبات الإله بالاستناد إلى موضوعية الأخلاق، ونخص بالذكر الفيلسوف كانط الذي هو أشهر من عرف بهذا الدليل لإثبات الإله في العصر الحديث. فدليله يقوم على القوائم التالية:

- أن الناس يحملون شعورا بالأخلاق وإحساسا بالصواب والخطأ بغض النظر عن مآلها ونتائجها، ويسمونها الأوامر المطلقة الختمية⁷¹ ويقابلها الأوامر المشروطة⁷²
- وأن المعيار المفروض هو أن الفضيلة والسعادة متلازمان حيث تؤدي الأولى إلى الثانية،
- ولكننا لانشهد الأمر كذلك حولنا، فلانستطيع الجزم بأن الفضيلة بالفعل تؤدي إلى السعادة. فما الذي يبعث الناس على الاعتقاد بالتلازم بينهما أو ما سبب وجود الأوامر المطلقة؟
- فأجاب عن ذلك بأن هذا الاعتقاد المغرور فينا يفترض مسبقا ثلاثة تصورات:
 - الحرية: فالتجربة الأخلاقية لا يمكن أن تتحقق بغير الحرية، فلا أخلاق حيث الإكراه.
 - الخلود: فالإنسان إنما ينبعث إلى التخلق لما يعتقد من أنه سيحظى بالسعادة في نهاية المطاف ولو كان ذلك في حياة أخرى.
 - الإله: هذه المنظومة الأخلاقية لاتنضبط بغير الإله الذي يعطي السعادة في مقابلة التخلق.
- فالإله لايمكن أن يثبت عند كانط بالأدلة العقلية. ولكن شعورنا بالالتزام والتخلق ينبني على تصور الإله، ولا تقوم له قائمة بغيره.⁷³
- ولنر ما كان رأي الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من هذا الدليل إن كان لكل منهما حوله رأي!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد انتقد هذا الدليل انتقادا وأظهر مثالبه. فإن هذا الدليل قائم على افتراض أن الإيمان يمكن أن يكون أقوى من العلم ولكنه مغاير للعلم الذي سبيله العقل. فالإيمان هو العاطفة. لقد ذكر الشيخ عن الفيلسوف كانط موقفه قائلا:

"إن هذا الإيمان كثيرا ما يكون أقوى من العلم. ومع هذا فليس في هذا الإيمان إيقان علمي مثل ما كان في إيمان المؤمن المستدل بالأدلة العقلية التامة عند غير كانط من العلماء."⁷⁴

ثم يبدأ الشيخ في سرد دليل كانط، ويمكن تقطيعه في القطع التالية:

- الخير الأعلى لايتحقق إلا باجتماع الأخلاق والسعادة، والأخرى تترتب على الأولى.
- ولكن ليس بأيدينا حصول السعادة وترتيبها على عملنا لكونها مربوطة بالطبيعة الخارجية وبإرادات أناس غيرنا.
- فيلزم لهذا أن توجد إرادة فوق الطبيعة والبشر، وهي إرادة الله.⁷⁵
- ثم يلخص الشيخ هذا الدليل بقوله:

⁷¹ وهي ماكان مقصودا بذاته، ولا ينبغي لأجل غاية أو هدف وراءه. ويقال لها بالإنجليزية:

Categorical Imperative.

⁷² هي المحتاج إليها لإنجاز غاية أو تحقيق هدف، وليست مقصودة لنفسها. ويقال لها بالإنجليزية:

Hypothetical Imperative

⁷³ كل ما مر من التفصيل من بداية هذا المطلب إلى هنا مأخوذ من:

Mell, Thompson, Understand the Philosophy of Religion, 123 – 126, Teach Yourself, Editon: 2010.

⁷⁴ صبري، العقل والنقل: 95/3.

⁷⁵ المرجع السابق.

فتكون خلاصة الدليل مبنية على حاجة الإنسان في الاحتفاظ بأخلاقه إلى وجود الله حتى يكون هو الذي بيده مكافأته عليها حيث لا مكافئ.⁷⁶

ثم يأخذ الشيخ في إيراد الاعتراضات على الدليل، ونسرده فيما يلي:

مصادرة على المطلوب: أول ما يعترض به الشيخ على الدليل أنه منطوق على مصادرة على المطلوب، ويقول:

فبني مسألة وجود الله على دليل الأخلاق أي على حاجة الأخلاق إلى وجوده، فأصبحت الأخلاق دليلاً على وجود الله ومحتاجة إليه معاً وهو دور أو مصادرة.⁷⁷

الدليل مخصوص بفئة معينة: إن حاجة الاحتفاظ بالأخلاق إلى وجود الله لا يستلزم وجود الله تعالى بذاته، وإنما يستلزم لدى أصحاب الفضيلة وأرباب الأخلاق. فالدليل خاص بمؤلاء الناس. ومن الممكن بل الواقع أن ينسلخ الإنسان عن القول بأهمية الأخلاق، فيبقى الدليل له غير ملزم. في هذا يقول الشيخ:

"لا يلزم أن يكون الله موجوداً بمجرد أن الإنسان في حاجة إلى وجوده لاسيما وأن المحتاجين إلى وجوده أصحاب الفضيلة والأخلاق لا كل إنسان وإن كانوا هم صفوة بني نوعهم وإن كان في علاقتهم الخاصة بالدين وبعقيدة وجود الله الفخر كل الفخر للدين. وفي تثبيت هذه العلاقة الحسن كل الحسن لدليل كانط."⁷⁸

إلى أن قال:

"والذي نرى فيه من العيب أنه لا يكون دليلاً حاسماً يحصل به إلزام الغير كما يحصل بأدلة وجود الله النظرية المعروفة التي يعيها كانط."⁷⁹

وهذا الوجه مهم في فهم ما سأل عنه من موقف العلامة ابن عاشور من هذا الدليل، فإنه لا ينسجم مع المنظومة الأشعرية.

عدم وفاءه بميزان الدليل: تصور الدليل عند علماء المنطق والكلام والفلسفة يقوم على أساس أنه يفيد العلم بالشيء في نفس الأمر. وأما الحاجة والضرورة والمصلحة فليست من الدليل في شيء في هذا العلم.⁸⁰ في هذا المعنى يقول الشيخ:

"المعروف عند أهل العلم أن الدليل يكون عبارة عما يفيد العلم ويوصل إلى الحقيقة لا ما يصور حاجة أو يؤيد فضيلة أو يتضمن مصلحة مهما كانت مصلحة عظيمة، ولا يقنع المؤمن المخلص أن يعتقد وجود الله لا لكونه موجوداً في الواقع بل لكون مصلحته ومصلحة الدنيا كلها في وجوده."⁸¹

عدم ثبوت الإله الواجب الوجود: من الدخول في هذا الدليل عند الشيخ أنه ليس حاسماً وأنه غير مبني على المقدمات الضرورية التي ثمرتها برد اليقين وإلزام الآخرين، وأنه يجعل الدين حاجة وجدانية وضرورة اجتماعية، وليست بحقيقة ملجئة للعقول إلى قبولها. فإذا ذهبنا نقارن بين دليل الأخلاق ودليل الحدوث وجدنا الأول قائماً على أمر عادي لا على وجوب واستحالة عقليين حيث إن

⁷⁶ المرجع السابق: 95/3.

⁷⁷ المرجع السابق: 97/3.

⁷⁸ صبري، العقل والنقل: 95/3.

⁷⁹ المرجع السابق: 98/3.

⁸⁰ نعم، يمكن أن تكون من الدليل في علم الفقه، ولكنها في الفقه أيضاً إنما تشير إلى أن الشرع اعتد بهذه الأمور. ثم هي من الظنيات، والكلام هنا في قواطع الأدلة.

⁸¹ صبري، العقل والنقل: 96/3.

إنكار أهمية الأخلاق لا يستلزم شيئا من المحال فيما يستلزم إنكار الواجب الوجود استحالة كما بينا في تقرير الدليل فيما سلف. فعصارة الأمر أن واهب الأخلاق الذي يتبع دليل الأخلاق ليس واجب الوجود. في هذا يقول الشيخ:

"... إلا أن هذا الاحتمال لا يستحيل بالمرّة، استحالة عدم وجود الله. وإذا لم يستحل استحالة عدم وجود الله، فلا يبنى إثبات وجود عليه ... وإن لم يكن الاحتمال المذكور محالا عقليا - وهو المحال الحقيقي - لم يكن عدم وجود الله أيضا محالا لكون دليل وجوده مبني على استحالة الاحتمال المذكور، وبقي هذا الدليل على ضعفه وعدم كفايته في مطلب يقيني يجب أن يكون في رأس المطالب اليقينية حيث لا يفيد ضرورة وجود الله، ونعني بضرورة وجوده الضرورة العقلية بمعنى استحالة عدم وجوده عقلا لا الضرورة الاجتماعية." ⁸²

وقال في موضع آخر:

"قد كنت قلت فيما سبق: إن الله بالنظر إلى ما اختاره كانط من الدليل لإثبات وجود لا يكون واجب الوجود أي لا يكون الله لأن أخص ما يمتاز الله به وجوب وجوده ووجوب الوجود إنما يتحقق له إذا استحال عدم وجوده بطريق من إحدى طرق الاستحالة المعروفة عند العقلاء كلزوم التناقض ⁸³ والدور والتسلسل والترجيح من غير مرجح." ⁸⁴

وضع قضية وجود الله بعد قضية الأخلاق: من عيوب هذا الدليل أنه يعكس الترتيب الصحيح المعترف به لدى المسلمين المتمثل في أن الأخلاق تثبت بناء على وجود الإله. فهذا الدليل يرتب وجود الله على قضية الأخلاق. فكأن الأخلاق هي الأصل الجوهر، ووجود الله هو الفرع العرض. وفيه ما فيه من فساد الوضع. في هذا المعنى يقول الشيخ:

"الله موجود بالرغم من كل شيء سواء صلحت أخلاق المجتمع أو فسدت، وسواء سعد أصحاب الفضيلة أو شقوا. فيجب على الإنسان أن يعلم هذه الحقيقة العظمى التي ليس لأي شيء أدنى قيمة بجنبها. فقول المؤمن: الله أكبر معناه أكبر من كل شيء، والله واجب الوجود للنشأة الأولى ليوحد الموجودات قبل أن يكون لازم الوجود للنشأة الثانية ليحاسب الخلق على أعمالهم أو يكون لازم الوجود ليحافظ الناس على أخلاقهم في الدنيا راغبين في سعادة الآخرة لا أن الله موجود بفضل احتياج المستحقين للسعادة من أهل الفضيلة إلى وجوده والفضيلة محترمة مرغوب فيها بفضل وجود الله الذي لا يضيع أجر الحسنيين؛ لأن هذا دور لا يجدي نفعا لكلا الطرفين." ⁸⁵

فهذه هي أوجه الضعف الخمسة التي من أجلها هجر الشيخ مصطفى ما يسمى بدليل الأخلاق، ولم يعتد به في سياق أدلة وجود الله تعالى المعتد بها.

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فلم يتعرض لهذا الدليل نفيا ولا إثباتا، وهو لم يتعرض للفيلسوف كانط إطلاقا في أعماله، وهو الذي اشتهر بهذا الدليل في العصر الحديث، و الشيخ مصطفى صبري أيضا تعرض لهذا الدليل تحت عنوان "دليل الفيلسوف كانط على وجود الله" ⁸⁶ فالأغلب أنه لم يطلع على هذا الوجه من الدلالة. ولم أعثر فيما كتبه على ما يستروح منه موقفه من مثل هذا

⁸² المرجع السابق: 100/3.

⁸³ تناقض القضيتين اختلافهما بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداها وكذب الأخرى. (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 514)

⁸⁴ صبري، العقل والنقل: 101/3.

⁸⁵ المرجع السابق: 99/3.

⁸⁶ المرجع السابق: 92/3.

الدليل. غير أنه من الأشاعرة الذين لا يرون الحسن والقبح عقليين⁸⁷ كما يراها كذلك الماتريدية والمعتزلة، ولا ينسجم مع موقفه الأشعري هذا الدليل القائم على موضوعية الأخلاق، وقد مرت هذه النقطة في الركن السابق المتعرض لموقف الشيخ صبري من هذا الدليل بحمد الله تعالى.

المبحث الخامس: دليل الفطرة

إن المراد بدليل الفطرة هو أن الإحساس بوجود الخالق أمر مغروز في فطرة البشر جميعاً وأعماق ضمائرهم، يشعر به كل عاقل بغير لجوء إلى البرهنة العقلية. نعم، لعله يحتاج إلى أن يجرد نفسه من الغفلة ويفتقر إلى التنبيه. أما البرهنة العقلية فلعلها تزيد الأمر تعقيداً. ففكرة الإله أقرب إلى الناس مما يسمى بالدليل العقلي. "بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات".⁸⁸ حتى فرعون الذي عرف في تاريخ البشر القديم بإنكار الإله كان مستيقناً به في قرارة نفسه جاحداً في ضحالة ظاهره، فكان متجاهلاً بالله لا جاهلاً به.⁸⁹

ولنظر ما كان مواقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور حول دليل الفطرة!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فلم يتعرض لدليل الفطرة نفيًا ولا إثباتاً. ولكننا نستطيع أن نستخلص رأي الشيخ من انتقاده لدليل الأخلاق. لقد مر بنا أنه انتقد دليل الأخلاق الذي احتكم إليه الفيلسوف كانط لإثبات وجود الله تعالى، وكان دليله مبنيًا على فطرية الأخلاق، فهو أنكر هذه الفطرية. ونحن نعلم أن كانط حينما لا بد ذلك، كان الإله أول عنصر في هذه الفطرية، ولكن الشيخ رفض ذلك رفضاً باتاً، وصرح بأن منهج المتكلمين أنهم يثبتون الإله بالدليل النظري الذي يرفضه الفيلسوف كانط. يقول الشيخ في هذا المعنى:

"ونحن نثبت قبل كل شيء وجود الله بدليله العقلي النظري المستنبط من وجودنا ووجود أي موجود في العالم غير مترشّين⁹⁰ إلى مسألة أخلاق الإنسان التي يجيء دورها ودور أهميتها بعد مسألة وجود الإنسان وأهمية وجوده بمراحل، ويكون سهلاً علينا بعد إثبات وجود الله إثبات وجود يوم الدين ولزوم التأهب لذلك اليوم بتنظيم الأخلاق".⁹¹

فعلنا يسوغ لنا أن نستروح من كلامه هذا - غير جازمين - أنه لا يرتاح للقول بفطرية وجود الله تعالى وتوحيده. بخلاف ما مال إليه العلامة ابن عاشور كما سيأتي والله أعلم!

ابن عاشور: لقد ذكر العلامة ابن عاشور في سياق ما لاقى الأنبياء من الجحود لما دعوا إلى الله وحده أن فطرة المنكرين فسدت وتغيرت حتى أقدموا على إنكار ما أودع فيها. فجاءت الآية كما ذكر العلامة:

⁸⁷ لقد اختلفت طوائف الأمة حول ما إذا كان هناك أمر يحسن في العقل أو قبح ويستحيل أن يخالفه الشرع. فالأشاعرة جنحوا إلى أنه لا يوجد شيء يحرم أو يجب بالعقل بناء على حسنه أو قبحه. وإنما هما تابعان للشرع. ولكن رأي معظم الحنفية والمعتزلة أن هناك أموراً تقبح أو تحسن عقلاً، يتبعه الشرع فيها ويستحيل أن يخالفها. (راجع لتفصيل ذلك: مشرف، آراء الإمام الكمال ابن الهمام المتعلقة بالإلهيات دراسة وصفية تحليلية، الفصل الثالث: الكلام في أفعال الله تعالى، المبحث السادس: حسن الأفعال وقبحها، رسالة ماجستير، الجامعة العالمية الإسلامية، إسلام آباد، 2020م)

⁸⁸ ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية: 26/1.

⁸⁹ المرجع السابق.

⁹⁰ أي غير منتظرين لمسألة أخلاق الإنسان، وقصد بذلك عدم ابتناء مسألة وجود الله على مسألة الأخلاق، واستعار التريث والانتظار لابتناء شيء على شيء بجامع أن في الانتظار تقدماً وتأخيراً.

⁹¹ صبري، العقل والنقل: 97/3 - 98.

"... تنبيهها على رسوخ الكفر من نفوسهم بحيث لم يقلعه منهم لا ما شاهدوه من البيئات، ولا ما وضعه الله في فطرة الإنسان من اعتقاد وجود إله واحد وتصديق الرسل الداعين إليه، ولا الوفاء بما عاهدوا عليه الرسل عند الدعوة: إنهم⁹² إن أتوهم بالبيئات يؤمنون بها." 93

فأكبر ما يستدل به على أن القرآن يفترض فطرية وجود الله تعالى وتوحيده هو الآيات التي محتواها أن الله تعالى أشهد الناس على توحيده. وقد سلك العلامة ابن عاشور نفس المسلك في هذه الآية.⁹⁴

المبحث السادس: إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء

لقد ورد نقاش حول صحة ما إذا نستدل بالمعجزة على وجود الله تعالى. فعامة المتكلمين لم يقتنعوا بصحته، وأصروا على أن المعجزة لا معنى لها إلا إذا سبقها ثبوت وجود الله تعالى. فالمعجزة تترتب على وجود الله تعالى، ولا يصح في ميزان المنطق والاستدلال أن يفرع وجود الله تعالى على المعجزة. ولكن عارضهم بعض العلماء وخاصة مدرسة ابن تيمية في ذلك، وذهبوا إلى أن ذلك طريق صحيح مستقيم. في هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى:

"قال القاضي أبو يعلى⁹⁵ في عيون المسائل: ... ومثبتو النبوات حصل لهم المعرفة بالله تعالى بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلافا للأشعرية في قولهم: لا تحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول. وقال: نحن لا نمنع صحة النظر ولا نمنع حصول المعرفة به وإنما خلافا هل تحصل بغيره." 96

ثم ذكر عنه من وجه الاستدلال أن المعجزة تدل على النبوة والرسالة، ثم تدلنا الرسالة على أن هنا مرسلا. وأما دلالة المعجزة نفسها فمن باب الحس لمن حضرها ومن باب الخبر المستفيض المتواتر لمن غاب عنها. ثم يفتح الباب على مصراعيه لكل ما يقول به الرسول.⁹⁷ ثم جلا شيخ الإسلام وجه الاستدلال أكثر وصقله أشد وقال:

"... لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة. ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد. ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمتها ما لا يحصل للمعتاد؛ إذ هي آيات جديدة فتعطي حقها وتدل بظهورها على الرسول وإذا تبين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله، فتقرر بها الربوبية والرسالة." 98

⁹²قوله: إنهم إن أتوا... إلى آخره تفسير لما عاهدوا عليه الرسل.

⁹³محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 32/9.

⁹⁴المرجع السابق: 33/9.

⁹⁵محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى (380 - 458هـ = 990 - 1066م): عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. وكان شيخ الحنابلة في عصره. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام الموكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. له تصانيف كثيرة، منها الإحكام السلطانية والكفاية في أصول الفقه وأحكام القرآن وأربع مقدمات في أصول الديانات وتبصرة معاوية والعدة في أصول الفقه. (الزركلي، الأعلام: 6/99)

⁹⁶أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 11/377 - 378.

⁹⁷المرجع السابق.

⁹⁸أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 11/377 - 378.

عرفنا من ذلك أن التدقيق في دلالة المعجزة على ثبوت الدين يعود في نهاية المطاف إلى دلالة الحوادث على ثبوت الصانع، فينضم هذا وجها إلى وجوه دلالة دليل الحدوث. فانتظم الاستدلال بما يلي:

- أن الإنسان الذي يعلن الرسالة والنبوة ظهرت على يديه المعجزة التي ليست في طور ذلك الإنسان،
 - وأن المعجزة أثبتت موجودا وراء هذا العالم،
 - وأنه لا بد أن يكون متحليا بالعلم والإرادة والقدرة،
 - فإذا ثبت الموجود المخالف للحوادث ذو العلم والإرادة والقدرة، ثبت صدق هذا الإنسان في إعلانه،
 - وأن هذا الصدق يتضمن صدق كل ما أخبر به،
 - ولا يخفى أن هذا مبني على وجود الله تعالى.
- فمن هنا، تدل المعجزات على وجود الله تعالى وعلى وحدانيته.

لننظر مواقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور حول هذا الدليل إن كان لكل منهما موقف!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فيصرح في مواضع من كتابه أن قضية الإيمان بالله هي أصل قضية المعجزة والنبوة. فالمعجزة لا تثبت ما لم يثبت وجود الله تعالى. فهو على سبيل المثال يناقش هيكل باشا⁹⁹ في كتابه "حياة محمد" ويذكر أن من يدعوه إلى الإسلام من غير المسلمين لا يخلو من حالين، لاثالث لهما: الأول أن يؤمن بأول سماع الدعوة بغير حاجة إلى استدلال عقلي، والثاني أن يحتاج إلى استدلال. فيقول بهذا الصدد:

"وخلاصته أن من يهتدي إلى الإسلام في هذا الزمان من الأمم غير المسلمة يهتدي إليه بأحد طريقين: إما بأن يدخل الإيمان في قلبه أول ما دعي إلى الإيمان ... فيؤمن من غير أن يتلجلج قلبه ... وإما بأن ينظر إلى سنة الله في هذا الكون ... فيهتدي إلى بآرئه. وهذا الرجل أيضا لا يحتاج في إيمانه بالله إلى المعجزات والخوارق." ¹⁰⁰

أما هذا الرجل الثاني فيصرح المصنف بأنه لا بد أن يخطو خطوات الاستدلال من الآثار إلى المؤثر لإثبات وجود الله تعالى، ثم ينتقل إلى إثبات النبوة. فهو أيضا

"... غير مضمون له الإيمان أيضا على مذهب المؤلف؛¹⁰¹ لأن طريقة هذا الرجل إلى الإيمان بالله تعالى هي طريقة الاستدلال من الآثار إلى مؤثرها: أعني بها طريقة العلم القديم المبني على العقل المحض والمنطق التجريدي اللذين لا يعتد بهما العلم الحديث ولا متعلموه العصريون أشباه المؤلف ولا يعتبرون ما يبيني عليهما من المسائل حقائق علمية." ¹⁰²

فالاستدلال يخطى ينتظم ثلاث قضايا مترتبة بعضها على بعض: وجود الله وإمكان النبوة وثبوت المعجزة.

⁹⁹ محمد حسين هيكل (1305هـ - 1376هـ = 1888م - 1956م): كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء الجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر. ولد في قرية كفر غنام بالدقهلية وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة سنة 1327هـ (= 1909م) وحصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسة سن 1330هـ (= 1912م) وافتتح مكتباً للمحاماة بالمنصورة. وأكثر من الكتابة في جريدة (الجريدة) وترأس تحرير جريدة السياسة اليومية ثم الأسبوعية. ودرس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ. وتوفي بالقاهرة. صنف كتباً، منها حياة محمد وفي منزل الوحي وثورة الأدب والصدق أبو بكر والفاروق عمر وجان جاك روسو. (الزركلي، الأعلام: 6/ 107)

¹⁰⁰ صبري، العقل والنقل: 1/ 111.

¹⁰¹ يريد مصنف حياة محمد هيكل باشا.

¹⁰² صبري، العقل والنقل: 1/ 111.

"ولابد إذن لإثبات الدين ... أن نكافح¹⁰³ العلم الحديث المانع عن الإيمان بالغيب والعقل المقيد بذلك العلم ... وبعبارة أولى وأوضح لابد أن نبتدئ الأمر بدعوة العلم والعقل إلى الإيمان ... فأمامنا ثلاث مسائل: وجود الله ووجود منصب النبوة ووجود معجزة النبي." 104

أما القضية الأولى - وهي وجود الله تعالى - ففي رأس هذا الخيط، وعليه تبني الأخريان. وهنا يشير الشيخ إلى أن العقلية العصرية المتأثرة بمنهج علوم الطبيعة تعجز أمام هذه القضية إثباتاً. فلا يسعهم تخطيطها إلى قضية المعجزة والنبوة. فيقول:

"فالمسألة الأولى مع كونها أساس المسألة الثانية بل أساس كل شيء لا يجد المتعلمون تعلماً عصرياً الاستطاعة في أنفسهم والشجاعة لإثباتها علمياً." 105

فعرفنا من ذلك أنه يقف موقف جمهور المتكلمين ولايسوغ بناء وجود الله تعالى على دلالة المعجزة.

ابن عاشور: مما أقره العلامة ابن عاشور في تفسيره في مساق أدلة على وجود الله تعالى أن آيات الله تعالى التي هي المعجزات تدل على وحدانية الله تعالى. فإنه ذكر في تفسير الآية الرابعة من سورة الأنعام:

"والمراد بقوله: من آية كل دلالة تدل على انفراد الله تعالى بالإلهية. من ذلك آيات القرآن التي لإعجازها كانت دلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من الوحدانية. وكذلك معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام مثل انشقاق القمر." 106

فقد استدلل بعض الباحثين¹⁰⁷ بهذا الكلام على أن العلامة ابن عاشور يقر بإثبات وجود الخالق بمعجزات الأنبياء، استدلل من كلام العلامة بما نقلته آنفاً. ولكن هذا الكلام لا يربط بين معجزات الأنبياء ووجود الخالق، بل هو يخطط بينها وبين الوحدانية التي يمكن أن تثبت بالأدلة العقلية أيضاً. فلست مرتاحاً لنسبة الإقرار بهذا الدليل إلى العلامة ابن عاشور. ومن سبب عقد هذا الباب مع تحقيق رأي الشيخ صبري المذكور آنفاً أي أريد تسجيل عدم الرضا بهذا الأمر، ومن وظيفة الباحث تصحيح الخطأ الذي وقع فيه غيره في نظره فيما يبحث هو فيه.

فأرى في ضوء ما قررته من موقف العلامة ابن عاشور من المنهج الكلامي القائم على درء الدور¹⁰⁸ وعموم انتماءه إلى الأشعرية أنه لا يرى ذلك.

الخاتمة

لقد اقترب مقالنا من الانتهاء، وقبل أن نخط رحاله، يجرى بنا أن نسرد فيما يلي أهم ما أسفر عنه مقالنا من النتائج:

¹⁰³أي تعارض وناوئ.

¹⁰⁴صبري، العقل والنقل: 115/1.

¹⁰⁵المرجع السابق.

¹⁰⁶محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 134 / 7.

¹⁰⁷مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور: 120، مجلة فكر وإبداع، سنة 2014م.

¹⁰⁸يراجع ص 148 وما بعدها من هذه الرسالة.

- أن كلا من العلامة ابن عاشور والشيخ صبري سار على ما يسمى بالمنهج الكلامي القائم على أن معرفة الله تعالى يجب أن تأتي من الدليل العقلي وأن الدليل النقلي يبنّي على الدليل العقلي وأن الدور المفسر باستقاء من الدليل النقلي ما هو أساسه من نحو وجود الله تعالى لا يجوز مع اتفاقهم على أن علم البشر بالله تعالى لا يمكن أن يصل إلى حقيقته وكنهه. وقد تجلّى هذا في سياق إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء.
- وأن كليهما اعتمد على دليل الحدوث والإمكان والغاية.
- وأما دليل الأخلاق فقد نفاه الشيخ صبري متمسكا في باب إثبات وجود الله تعالى، ولم يتعرض له العلامة ابن عاشور نفيا ولا إثباتا. فانفراد بمعالجته الأول دون الثاني.
- وانعكس الأمر في دليل الفطرة الذي تمسك به العلامة ابن عاشور ولم يتعرض له الشيخ صبري نفيا ولا إثباتا بالتصريح وإن كان رأينا أنه لا يرتضيه على أساس ما قرره في مواضع أخرى. فاختلف فيه آراؤهما على حسب ما قرناه.
- وأما إثبات وجود الله تعالى من خلال المعجزات فقد رأى بعض الباحثين أن العلامة ابن عاشور أقره ولكنني لست مرتاحا لهذا الرأي، وأرى أنه لا يرضاه أو لم يقرره على الأقل، وأما الشيخ صبري فقد صرح في مناسبات شتى أن الميزان العلمي القويم يقتضي أن نبني المعجزة على وجود الله تعالى دون العكس، فلم يرتضه.

المراجع:

فيما يلي قائمة أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في أثناء إعداد هذه المقالة:

- أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، 2004م،
 أحمد محمد سالم، تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، (لم أجد تفاصيل الطباعة في النسخة المتوفرة على الشبكة)،
 التفنازي، شرح العقائد النسفية، دار الحديث، ملتان، باكستان،
 جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت،
 سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، منشورات الأصيلين، 2016م.
 صبري، موقف العقل والنقل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2021م،
 صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة (14/6)، دار إحياء التراث العربي، 1990م.
 عبد الرحمن، ابن جوزي، زاد المسير في علم التفسير (1/266)، دار الكتب العربي، بيروت، 2001هـ.
 علي بن علي، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م
 محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م،
 محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.
 مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور، ص 120، مجلة فكر وإبداع، سنة 2014م.
 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

Oppy, Graham, Joshua Rasmussen, and Joseph Schmid, "Ontological Arguments", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Winter 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), forthcoming URL = <https://plato.stanford.edu/archives/win2024/entries/ontological-arguments/>
 Reichenbach, Bruce, "Cosmological Argument", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/sum2024/entries/cosmological-argument/>
 Mell, Thompson, Understand the Philosophy of Religion, Teach Yourself, Editon: 2010.
 Bourdeau, Michel, "Auguste Comte", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2023 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <<https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/comte/>>